وقال الشاعر دعيني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل
وقال الأشعث بن قيس لقومه إنما أنا رجل منكم ليس لي
فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم وأقضي
حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن زاد عليه
فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه قيل له وما يدعوك إلى هذا الكلام قال أحضكم على مكارم
الأخلاق ومن روائع عادات السادات وشرائع عادات العادات
السخاء والنجدة والمروءة فالسخاء التبرع بالنائل قبل إلحاح
السائل والنجدة الذب عن الجار والإقدام عند الكريهة والمروءة حفظ
الرجل دينه وإحرازه نفسه عن التدنس إلى غيره والقيام من الأخلاق الجميلة التي هي
بالمرء كحليته وسنذكر جملة منها فيما يأتي وقيل أسباب المروءة تسعة
العقل والحلم والصيانة والصبر والعلم والسخاء وأداء الأمانة وأضيف
إلى ذلك العفة والتواضع والقناعة تلك عشرة كاملة متى لمحاسن الشيم
شاملة وقال ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله أسود من معاوية فقيل له
أسود من أبي بكر وعمر فقال هما خير منه وهو أسود منهما بحلمه وجوده فإنا
معشر بشر نعد الجود والحلم السؤدد ويحكى أن رجلا رأى معاوية وهو
صغير يلعب مع الصبيان فقال إني أظن هذا الغلام سيسود قومه فقالت
أمه هند ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه وقيل السيد من أورى ناره
وحمى داره ومنع جاره وأدرك ثاره وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا
الأمانة إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم
وذكر أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس
ثم لم يلبث أن قام فقال معاوية ما أكمل مروءة هذا الفتى فقال عمرو إنه
أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر إذا لقي
وبأحسن الحديث إذا حدث وبأحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر المؤونة إذا
خولف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع إلى دينه وترك

مخالفة

مخالفة لئام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر منه وقال عبد الملك
لبنيه كلكم يترشح لهذا الأمر ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول
ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن إليه القلوب وأمن تستقر
به مضاجع الجنوب وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بم بلغ
فيكم الأحنف ما بلغ قال إن شئت أخبرتك بخلة وإن شئت بخلتين وإن شئت
بثلاث قال أخبرني بالخلة قال كان أقوى الناس على نفسه قال أخبرني بالخلتين قال
كان موقى الشر ملقى الخير قال فأخبرني بالثلاث قال كان لا يجهل ولا يبخل ولا
يبغي وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا
ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي قال
وما ذاك قال بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك وقيل لقيس
ابن عاصم المنقري بم سدت قومك قال ببذل القرى وترك المرا ونصرة المولى
وروي عن علي رضي الله عنه قال لما أتينا بسبايا طيء كانت في السبايا جارية
متبلجة سمراء كحلاء لمياء خميصة البطن ضامرة الكشح مصقولة المتن فلما
رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنستني جمالها لما رأيت من فصاحتها فكان من
كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تمن علي
وتخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي إن أبي كان يحمي
الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولم
يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة والسلام من أبوك قالت حاتم
طي فقال عليه السلام لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن
أباها كان يحب مكارم الأخلاق ثم قال للمسلمين ما حازت أسيرتها وحوته
أعينتها عند الثمينة والانطباع فلو فعلوا الفعل فقالت يا رسول الله
أمرنا لي من كل تبع ما صنع ما برأيك فقال اللهم أعل أصحابه وأمليه
أعداء وأول الأنصار بالفصاحة فصاحة وأطلقها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرجت إلى أخيها عدي وكان بدومة الجندل فقالت إيت هذا الرجل
قبل أن تعلقك حبائله فإني رأيت هديا ورأيا سيغلب به أهل الغلب
ورأيت فيه خصالا أعجبتني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم